الفصل الخامس

الماسونيّة

الفصل الخامس

الماسونيّة

الماسونيّة في العالم العربي

- في مصر.
- الماسونية في الشّام والعراق ودور الأمير عبد القادر.

المعارضة الكاثوليكيّة للماسونيّة.

المعارضة السياسيّة.

الفصل الخامس

الماسونيّة

الماسونيّه إشتقاق لغوى من الكلمه الفرنسية **Macon** ومعناها البناء. والماسونيّون تقابلها **Maconneries** أى البنّاؤون الأحرار. وفى الإنجليزيه يقابلها **Freemasons** أيّ أن مؤسّسيها يزعمون أنهم بناة وتعمير، مظهرين أدوات البناء كرموز لها. وبهذا يحاولون إظهارها وكأنها أشبه بنقابه للعاملين فى مهن البناء، بينما هي منظمة سرّية غامضة وتمارس طقوسا مبهمة، ممّا يدلّ على أنها ليست إتحادا نقابيّا، وإلا ما عمدت إلى الإختفاء. ويُرجع بعض المؤرّخين تاريخ تأسيس الماسونيّة إلى عهود غابرة، منذ عام ٤٤ ميلادي، على يديّ أحد أباطرة الرّومان المسمّى (هيرودس أكريبا) **Herod Agrippa** بمساعدة مستشاريه اليهوديين (حيرام أبيود) **Hiram Abiud** الذي تولى رئاستها و(موآب ليفي) **Moab Levy** كسكرتير عام. وعضويّة أدونيرام **Adoniram** وجوهانان **Johanan**ويعقوب آبدون **Jacob Abdon** وأنتيباس**Antipas** وسولومون آبيرون **Solomon Aberon** و آشاد آبيا **Ashad Abia**. وبوجهٍ عامّ اُعْتُقِدَ أن الماسونيّة الحديثة نشأت عام ١٧١٧ عندما شُيّد محفل إنجلترا الكبير. واُعْتُقِدَ أيضاً أن الدّكتور جيمس أندرسون هو الذي كتب (قوانينها الجديدة) [١]. والحقيقة أن الاسم الجديد اُسْتُخْدِمَ منذ عام١٧١٧.

هؤلاء المؤسّسون التسعة كان عليهم أن يقسموا قسمًا مفزعًا ونصّه: " أنا فلان إبن فلان أقسم بالله بالكتاب المقدّس وهو شرفي، وقد أصبحت عضوا من تسع مؤسّسين للجمعيّة (القوّة الخفية)، أتعهّد بأن لا أخون إخوتي الأعضاء في أي شيئ قد يضرّ بذواتهم، وأن أتكتم على قرارات الجمعيّة، وألزم نفسي بأن أتبع مبادئها، وأن أنقذ القرارات الصادرة والمعتَمَدة من قِبَلكم بالطّاعة والدّقة والحماسة والإخلاص. كما أتعهّد بالعمل على زيادة أعضائها. وألزم نفسي بأن أهاجم أيّ شخص يتّبع تعاليم يسوع الدجّال ومكافحة أتباعه حتّى الموت. ألزم نفسي بألا أفشي أياً من الأسرار التي حُفِظَت بيننا نحن التسع : لا بين الدّخلاء و لا بين الأعضاء المنتسبين. وإذا ما حنثت باليمين وثبتت خيانتي في أنني قد كشفت أياً من الأسرار

---

١ انظر على سبيل المثال بول أ. فيشر" خلف باب المحفل Paul A. Fisher, Behind the Lodge Door, Shield Publishing, Inc., P.O.Box 90181 Washington D.C.20090, p. 24

أو أي نص من نصوص القوانين المحفوظة حفظاً بيننا وبين ورثتنا، فعندها سيكون لدى لجنة الثمانية كل الحقّ بقتلي بكلّ الوسائل المتاحة). وقد ورد هذا القسم في صفحة ٥١ ــ ٥٢.
(الجزء الثالث): من كتاب " أصل الطبقة المستنيرة الايلوميناتي **(Order of Illuminati)** **وهو** الإسم الذي أطلق على الماسونيّة عام ١٧٧٦، والتي أسّسها آدم فايسهاوبت **(Adam Weishaupt)**وكان راهبا في الكنيسة الكاثوليكيّة في مدينة إينجولستادت بولاية بافاريا الألمانيّة، والذي ألحد وطلب من أتباعه أن يحملوا (شعلة الشيطان)، ولقنهم عقيدة تقول بأن أي شخص يمكن أن ينال قوّة عظيمة مثل قوة الله بمساعدة الشّياطين. وقد عكف حوالي خمس سنوات على كتابة طرق " الثورة العالميّة المنظمة " و بدفع ودعم مادي من أسرة روتشيلد (**Rothschild**) الثريّة الشهيرة ذات الأصل اليهودي، بهدف إنشاء حكومة عالميّة. و قد سمّى هذه الحكومة نوفس اوردو سيكلورم **Novus Ordo Seculorum** : عصر جديد أو نظام عالميّ جديد **(New World Order)** الذي هو أيضًا اسم كتابه المنشور في أوّل مايو ١٧٧٦ونفس هذه العبارة اللاتينيّة مكتوبة على الجانب المقابل لعملة الدولار الواحد و ذلك مع سنة ١٧٧٦ بالأرقام الرّومانيّة في أسفل الهرم الماسوني، وفوق الهرم عين الشّيطان مع عبارة أنويت كويبتيس" **"AnnuitCoeptis"** التي تعني بأنه -أي الشّيطان - قد ابتسم على مهامّنا. ويعتقد الكثيرون بأن التّاريخ ١٧٧٦ هو لتشريف ولادة الولايات المتّحدة. بل لتشريف عالم الشيطان الواحد الذي أسسه فايسهاوبت.

ولقد قامت الماسونيّة منذ أيامها الأولى على المكر والتضليل، إذ وضع مؤسّسوها رموزاً وأسماء وإشارات مميّزة. وفي نفس الوقت توحي بالرهبة والتخويف. وقد سمّوا أحد محافلهم الرئيسيّة (هيكل أورشليم) لكي يكون هناك رابط نفسي مع هيكل سليمان الذي يسعى اليهود الصهاينة لإعادة بنائه، حسب بعض المؤرّخين وخاصّة من العرب[٢]. إذ يعتبرونها منظمة يهوديّة سرّيّة محكمة التنظيم هدفها ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحيّة وإفساد القيم الأخلاقيّة، وتتستر بالشعارات الخدّاعة مثل (حريّة - إخاء - مساواة). ومن بين أعضاء الماسونيّة شخصيّات مرموقة في عالم الفكر والفنون. والماسونيّون في نشاطاتهم المختلفة، في المجتمعات التي اخترقوها، يستخدمون البراجماتيّة المشوبة بالوصوليّة للترويج لمبادئهم. وهم يمارسون طقوسهم وينظّمون جلساتهم في تجمّعات مغلقة تسمّى بالمحافل، وهدفهم الأسمى إقامة جمهورية ديمقراطية عالمية لا دينيّة، كما يزعمون.

---

٢ ينظر (السرّ المصون في شيعة الفرمسون) للأب لويس شيخو سنة ١٩١٢، و(هيكل سليمان)- ليوسف الحاج سنة ١٩٣٤، و(أسرار الماسونية) للجنرال التركي رفعت أتلخان، و(تاريخ الجمعيات السرّيّة والحركات الهدامة) لعبدالله عنان، و(الماسونية- أحد المذاهب المعاصرة) لعبد الرحمن عميره.

وقد استطاع الماسونيّون خداع ألفي شخصيّة من كبار السّاسة والمفكرين وأسّسوا بهم المحفل الرئيسي المسمى بمحفل الشرق الأوسط،، ومن أبرزهم (ميرابو) أحد قادة الثورة الفرنسية و(ماتزيني) مفكر الوحدة الإيطاليّة، الذي سيطر على زمام الماسونيّة بعد موت فايسهاوبت. ومن بين أعضاء الماسونيّة من الشخصيّات المرموقة في عالم السياسة والفكر والفنون، كان أبرزهم –حسب المصادر الألمانيّة :

*السير ونستون تشيرشيل رئيس الحكومة البريطانيّة المعروف(١٨٧٤ – ١٩٦٥). وقدانخرط منذ ١٩٠١ في محفل (يونايتد ستودهولم) بلندن. وتتلخّص قصّة إنخراطه الطريفة أنه قبل سنوات من ذلك أشرف على الغرق في إحدى البحيرات باسكوتلاندا، ولكن فلاحا شابّا قام بإنقاذه. وعندما عاد بعد فترة إلى نفس المكان بحث عن الشّاب وسأله عن أمنيته في الحياة، فأجابه بأنه يرغب في دراسة الطبّ، ولكنه لا يملك المال لتحقيق ذلك، فقامت عائلة تشرشيل بتمويل دراسته إلى أن تخرّج الشاب طبيبا، ثمّ باحثا ثمّ أستاذا إكتشف دواء البينيسلين سنة ١٩٢٣ فكان هو * السير أليكسندر فليمينج (١٨٨١ – ١٩٥٥) الناشط الماسوني الذي أصبح رئيسا لمحفل (سانتا ماريّا) ثم رئيسا لمحفل (ميسيركورديا) وبعدها أسّس في سنة ١٩٤١ المحفل المتحد لانجلترا، وفي سنة ١٩٤٨ صار هو المراقب الأعظم لمحافل إنجلترّا العظمى. وقد قدّر لفليمينج أن ينقذ حياة تشيرشيل مرّة أخرى عندما أصيب بمرض خطير بعد إنتهاء مؤتمر يالطا، فأخذ يتردّد على فليمينج في محفله بانتظام وبالتالي إنضمّ إليه * الزعيم التركي الشهير مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١ – ١٩٣٨) الذي ظلّ إلى مماته عضوا في محفل (ماشادونيا ريزورتا) ومحفل (فيريتاس). * يوهان جوتليب فيشته (١٧٦٢-١٨١٤) الفيلسوف الألماني المعروف وقد كتب ١٦ خطابا عن فلسفة الماسونيّة * هنري فورد (١٨٦٣-١٩٤٧) مؤسّسة شركة فورد الأمريكيّة الشهيرة للسيّارات (في الثلاثينات من القرن الماضي كانت تنتج ثلث سيّارات العالم) والذي انضمّ إلى محفل فلسطين رقم ٣٥٧ بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٨٩٤،وقبل وفاته عام ١٩٤٧ إنضمّ إلى محفل صهيون رقم ١. وهذه المعلومات المستقاة من المصدر الألماني [٣] لا تذكر شيئا عن أن فورد كتب بين عامى ١٩٢٠ و ١٩٢٢ مقالات فى صحيفة (ديوبورن إندبندنت) التي كانت تصدرها مؤسّسته، ثمّ جمعها فى كتاب بعنوان (اليهودى الدّولي- أكبر خطر عالمي). الهدف منه حسب قوله هو تعريف الشعب الأمريكى بحقيقة المسألة اليهوديّة لوضع الحلول الصحيحة لها، بدلاً من تركها تتفاقم في العالم. وفي رأيه أن هناك نوعين من اليهود : نوع يريد أن يسيطر على الآخرين من غير اليهود ليحكموا العالم إنطلاقا من أورشليم (القدس)، والثاني يهودى يضحّي بالعالم من اجل التشبّث بدينه والمحافظة على

٣ Die Logen der Freimaurer- Juergen Holtorf- Nikolverlag,Hamburg1991

سبته. ويرصد فورد في هذا الكتاب محاولات اليهود للسيطرة على الإعلام والتمويل والسياسة بأقوال زعماء اليهود وقادتهم آنذاك لدعم ما يقول. وينبّه فورد إلى أن عمله هذا ما هو إلا صيحة تحذير لمواطنيه الأمريكيين أغيارًا ويهودًا من طموحات ذلك (اليهودى الدولي). وبما أن صحيفة (ديوبورن إندبندينت) والتي كانت تصدر باسم مؤسّسته – كناية عن ضاحية في ديتريوت- والتي نشرت تقرير حكماء بني صهيون، وهو ما جلب له تهمة المعاداة للساميّة والتعاطف مع النازية، لأن هتلر أثنى عليه وتبنّى ما جاء فيه. وقيل إنه شجّع على أن تكون سيّارة (فولكس فاجن) المشهورة على طراز ما أنتجته شركة فورد، كما كان هتلر يعلق صورة فورد في مقرّه، ممّا أثار ضجّة ضخمة وحملات صهيونيّة ضدّه. ومازال الكتاب يحظى بشهرة لدى العالم العربي بالتحديد. ولا ريب أن المصدر الألماني تجاهل هذه السيرة الحقيقيّة لفورد، والمتوقرة في كلّ الموسوعات والمعاجم الدوليّة، بحكم الخوف السّائد في ألمانيا من تهمة معاداة السّاميّة (اليهوديّة). * فرانكلين بينجاتمين (١٧٠٦ – ١٧٩٠) السياسي الأمريكي والمخترع والعالم متعدّد المواهب، وكان عضوا في محفلي القدس وباريس. * كلارك جيبيل الممثل السينماني الأمريكي الشهير (١٩٠١–١٩٦٠) وكان عضوا في محفل بيفرلي هيلس. * جوزيبي جاريبالدي السياسي الإيطالي الشهير محقق الوحدة الإيطاليّة (١٨٠٧-١٨٨٢) وانضمّ سنة ١٨٤٤ إلى المحفل الفرنسي (أصدقاء الوطن)، ثمّ إلى محفل مونيفيديو إلى أن أصبح سنة ١٨٦٤ الرئيس الأعظم لمحفل إيطاليا. * جورج السادس ملك بريطانيا (١٨٩٥-١٩٥٢) الذي تدرّج في رُتب المحافل البريطانيّة منذ (١٩١٩-١٩٣٦) إلى أن أصبح القائد الأعظم لمحفل إنجلترا. * يوهانس فولفجانج فون جوته أديب وشاعر ألمانيا الأشهر (١٧٤٩-١٨٣٢) وقد نظم قصائد عن الماسونيّة، وذكرها في بعض أعماله، ولكنه انتقدها بعد ذلك باعتبارها نوعا من الضلال في بعض كتبه مثل (فيلهيلم مايستر) و(سنوات التجوّل) و(كوفتا العظيم) * جوزيف كيبلينج الكاتب الإستعماري البريطاني المعروف (١٨٦٥-١٩٣٦) وقد عكس تمجيده للماسونيّة في العديد من أعماله وأشعاره. * فولفجانج أماديوس موتزارت (١٧٥٦-١٧٩١) الموسيقي العبقري النمساوي الذي عكس الماسونيّة في مقطوعاته وألحانه. * جورج واشنطن (١٧٣٢-١٧٩٩) أوّل رئيس للولايات المتحدة الأمريكيّة الذي إنضمّ أوّلا إلى محفل فريدريك بورج بفيرجينيا، ثمّ انتقل ليترأس محافل أخرى، إلى أن تعيّن رئيسا للجمهوريّة فأصبح قائدا لمحفل سان جون ١. وحتى عندما مات، إستعملت المسطرة والمغراف الذين سبق له إستخدامهما، وجرى وضع الأساس بهما عام ١٩٢٣ لنصب واشنطن التذكاري **Washington Memorial** المعروف. ومايزال هذا النصب، الذي إعيد تدشينه في مدينة اليكسندريا عام ١٩٣٢ يؤمّه الماسونيّون حتى اليوم، ويقيمون حوله معارضهم. وجدير بالذكر هنا أن ستة من رؤساء أمريكا، بعد جورج واشنطن، كانوا من

أتباع الماسونيّة، واقتصرر الحديث على جورج واشنطن لأهميّته التاريخيّة. * الموسيقار النمساوي الشهير هايدين (١٧٣٢- ١٨٠٩) وغيرهم من مشاهير السياسة والفكر والفنّ.

الماسونيّة في العالم العربي

وإذا ذهبنا نقتفي أثر وتاريخ الماسونيّة في المنطقة العربيّة، فسنجد أن جلّ الدراسات أجمعت على تمركزها في كلّ من مصر وسوريا وما جاورهما مثل لبنان والأردن والسّودان. ففي مصر يزعم الماسونيّون أن أول محفل بها أسّسه نابليون بونابرت حينما جاء إليها على رأس حملته، وسمّي بمحفل إيزيس الذي ضمّ كبار ضباط الحملة، ومن ثمّ إستقطب بأساليب عديدة نخبة من شخصيّات المجتمع. وقد رأينا كيف أن شعاراتها عن الحريّة والإخاء والمساواة جذبت إليها الإصلاحيين المنفتحين على مفاهيم وأفكار الحداثة، مثل جمال الدين الأفغاني وتلامذته. كما ساعد على انتشارها موجات الإصلاح الإجتماعي والدستوري التي توالت على الإمبراطوريّة العثمانيّة، ومصر والمشرق العربي تشكل أعضاء مفصليّة فيها، والتي كان آخر تطوّر لها وفد منذ عام ١٩٠٨ على أيدي جمعيّات تركيا الفتاة أو جمعيّات الإتحاد والترقي،كما سيأتي ذكره لاحقا.

في مصر

لقد كان في مصر نوعان من الماسونيّة: الماسونيّة الإنجليزيّة والماسونية الفرنسية التي انتمى إليها جمال الدين الافغاني، وقيل أيضا تلميذه محمد عبده وكذلك تلميذه الشيخ محمّد رشيد رضا [٤] الذي جاء إلى القاهرة في يناير ١٨٩٩ واستطاع إقناع إستاذه بضرورة إصدار مجلة (المنار) المعروفة لتعكس الإتجاهات الإصلاحيّة التي يمثلانها، وفعلا قدّر لها أن تعمّر طويلا إلى سنة وفاته. وكان لها صدى وتأثير واسعان في مصر والعالم الإسلامي لما كانت تتضمّنه من دراسات التفسير للشيخ محمّد عبده، إضافة إلى الفتاوى التي كانت تنشرها إستجابة للسائلين، كما كانت المجلة تعرّف بأخبار المسلمين وحركات التحرّر في المشرق والمغرب. ومن بين نداءات الشيخ رضا دعوته إلى النأي عن الخلافات المذهبيّة بين المسلمين، وأن يؤلّف الفقهاء كتبا عن الأحكام التي تقوم على الأسس المتفق عليها بين هذه المذاهب. كما أنه مارس مهنة التعليم فأنشأ مدرسة دار الدعوة والإرشاد لتخريج الدعاة التي افتتحت بجزيرة الرّوضة بالقاهرة سنة ١٩١٢. وقد

---

٤ وُلد ببلدة القلمون في لبنان في سبتمبر ١٨٣٥وعندما نُفي الإمام محمّد عبده إلى بيروت بتهمة إشتراكه في ثورة عرابي، أقام فيها مدّة طويلة يلقي الدروس في المدرسة السلطانيّة، وهناك تتلمذ عليه محمّد رشيد رضا وأضحى من تلاميذه المقرّبين، بل وخليفته في بثّ ونشر حركة الإصلاح والتجديد الدّينيين، ومحاربة البدع والخرافات.

أدخل في مناهجها علوم التاريخ والجغرافيا والإقتصاد والإجتماع بالإضافة إلى العبادات وأصول الدّين. ولكن الضائقة الماليّة استحكمت وأدّت إلى إغلاق المدرسة لأبوابها مع قرب الحرب العالميّة الأولى، ولم تفلح جهوده في الحصول على إعانة ماليّة من الحكومة العثمانيّة.

ويرجع تأثر الشيخ محمّد رضا بأفكار الماسونيّة، عند بعض المؤرّخين، إلى تأييده لجمعيّة الإتحاد والترقي، والحركة الدستوريّة الحديثة في تركيا. ولكن عندما أخذت الجمعيّة تدعو وتطبّق الأفكار الطورانيّة، تحوّل ضدّها وهاجمها واصفا إيّاها بأنها " جمعيّة الأحمرين، وعني بهما الذهب والدم. وقال عنها: أمّا كونها جمعيّة دم وثورة فهي صفتها الرسميّة، وأمّا كونها جمعيّة ذهب فلا يخفى على أحد أنهم نهبوا أموال السلطان عبد الحميد خان، وصادروا أكثر أموال الأمّة، وباعوا البوسنة والهرسك للنمسا، وطرابلس الغرب لإيطاليا، واتفقوا مع الجمعيّة الصهيونيّة على بيعها أراضي السلطان عبد الحميد الواسعة، وعلى تمهيد الأسباب لامتلاك البلاد المقدّسة، وإقامة مُلك إسرائيل فيها ". وحارب الماسونيّة على صفحات المنار قائلا: "من الحقائق الثابتة الخفيّة أن الجمعيّة الماسونيّة التي ثلّت عروش الحكومات الدينيّة في أمم أوروبا والترك والروس، هي من كيد اليهود وهم أصحاب السلطان الأعظم فيها... ومن غرائب اليهود وقدرتهم التي فاقوا بها جميع شعوب البشر أن الغرض السياسي النهائي لهم من هذه الجمعيّة هو: تأسيس دولة يهوديّة في مهد الدولة الإسرائيليّة التي أسّسها داود وأتمّها سليمان، باني هيكل الدين اليهودي، في أورشليم على جبل صهيون، ولهذا سمّوها جمعيّة البنائين الأحرار، ويريدون بهم الذين بنوا هيكل سليمان". ولاريب أن هذه الأحكام ضدّ الماسونيّة بقيت لصيقة بأفكار مخاصميها من العرب والمسلمين.

وبالنسبة للماسونيّة الإنجليزيّة في مصر، فقد تأسّست على أيدي قادة جيش الإحتلال البريطاني منذ نهاية القرن التاسع عشر، وأوّلهم كان **Horatio Herbert Kitchener** هوراتيو هيربيرت كيتشنر. وهو من مواليد إيرلاندا (١٨٥٠-١٩١٦) وتقلّد منذ سنة ١٨٩٩ منصب حاكم عام السّودان، ثمّ القائد العام للقوّات في الهند من ١٩٠٢ إلى ١٩٠٥ وبعدها عُيّن سكرتيرا للدفاع سنة ١٩١٤. وقد لقي نهاية مأساويّة، إذ مات في البحر عندما غرقت به العبّارة البريطانيّة (همبشاير). وهو الذي بادر بتأسيس محفل (كونكارديا) بالقاهرة سنة ١٨٨٣. ومنذ ذلك الوقت وحتى سنة ١٩٠٧ إنهمك في تأسيس محافل عديدة في مصر والسّودان، وأخيرا في أفغانستان والهند وتقلّب في مراتبها العليا المختلفة. ولقد تعاظم عدد هذه المحافل في مصر حتى بلغت في أوجها: ١٨ محفلا في القاهرة و ٣٣ في الإسكندرية و١٠ في بورسعيد و ٢ في المنصورة و ٢ في الإسماعيلية وواحد في الفيوم. اما المحفل الرئيسي فكان في شارع طوسون في الاسكندرية. وفي سنة ١٩٠٠ كان الأستاذ

الأعظم لأكبر محافل القاهرة والسودان، وهو محفل بولوير (**Bulwer Lodge**)، هو الجنرال السير " ريجينالد وينجيت " قائد الجيوش البريطانيّة الذي ضمّ السّودان تحت قيادته. وقد إتخذ المحفل مقرّا رئيسيّا له في قلب القاهرة فيما كانت تسمّى ثكنات النيل وبالقرب من متحف " الإنتكخانة "، كما وصفته جريدة **Egyptian gazette** في عددها بتاريخ ٩ يناير ١٩٠٣. وكان أعلى الأعضاء المصريين مرتبة في المحفل هو المدعو إدريس راغب بك الذي تولى منذ ١٨٩١ عقب ترك الخديوي توفيق للمنصب، وبقي فيه راغب لأكثر من ثلاثين عاما، وبعد هذه الفترة بدر الخلاف حول إنتساب المحافل المصريّة والشّاميّة، فإدريس راغب كان من دعاة إستقلالها، ولكن الأمير عزيز حسن يفضّل تبعيّتها للشرق الإيطالي الذي تنتمي إليه جمعيّة الإتحاد والترقي في سالونيك، وعلى الأثر حصل الإنفصال وعيّن محمّد فريد الزعيم الوطني ممثلا في مصر لمحفل الشرق العثماني لارتباطه بالجمعيّة المذكورة.

وكان المحفل يعقد إجتماعاته ويزاول طقوسه على هيئة مآدب فاخرة تقدّم فيها أرقى أنواع الأطعمة والإنخاب الحديثة، وعادة ما تُفتتح بنشيد تقول ترجمته من الإنجليزيّة: " باسمك تعالى نصلّي أيها المهندس الأعظم... لكي تبارك عملنا هذا اليوم... وحتى يبرهن هذا المعبد على أنه دوما مأوى للوحدة والحبّ " ! ومنذ تأسيسه، وفيما عدا فترة إنقطاع من١٨٧٤– ١٨٨٤، كان المحفل يعقد إجتماعاته ومآدبه باستمرار. وقد توالى على تقلّد رئاسته أغلب قوّاد الجيش البريطاني المحتل لمصر. وفي عام ١٩٣٥ إنتقل مقرّه إلى مبنى بالقرب من المدرسة الفرنسويّة. وعندما بدأت الإضطرابات في القاهرة مطلع عام ١٩٥٢ (حريق القاهرة)،أخذت إجتماعاته تنقطع ويقلّ عدد أعضائه الذين بلغوا في ديسمبر من ذلك العام ٧٥ عضوا هبط عددهم إلى ٧ أعضاء فقط عام ١٩٥٤. وعلى أثر قيام ثورة يوليو في ١٩٥٢، سارع القائمون على المحفل بتهريب وثائقه إلى بريطانيا.

وقد ألصقت الماسونيّة في مصر بالخديوي إسماعيل والخديوي توفيق، ومن يتبعهم من أمراء القصر والملك فؤاد والملك فاروق. ولم تتضح حقيقتها في مصر والمشرق العربي، وزيف شعاراتها وما تبطنه إلا في الخمسينات من القرن الماضي، حين اكتُشفت أنشطة جاسوسيّة واستخباريّة تختبيء وراءها. وكان أن شاع الدور الذي لعبه المحفل (كوكر) الإسكوتلندي بالإسكندرية للتجسس والذي استُخدم أثناء العدوان الثلاثي على مصر، وضُبطت فيه أجهزة لاسلكيّة وشيفرات سرية وإشارات لإرشاد الطائرات ليلاً. أمّا قبل ذلك فقد كان النشاط الماسوني علنياً سبق إقرار علنيته في أوروبا في العشر الأواخر من القرن العشرين، وآخر ظهور للماسونيّة العلنية قبل العدوان الثلاثي تجلى في الرسالة التي تلقاها أمين عام الجامعة العربية عبد الرحمن عزام باشا في ربيع عام ١٩٥١، لدى انعقاد مجلس

جامعة الدول العربية في دمشق، ويطلب فيها أمين الحداد رئيس محفل الإخلاص باللاذقية من القادة العرب ـ آنذاك ـ دعم نضال المغرب العربي.

في ٤ إبريل ١٩٦٤ أغلِقَ المعبد الماسونيّ الواقع على شارع طوسون في الاسكندرية بأمر من وزارة الشؤون الاجتماعيّة، وبعدها بسنة قُبض على شخص يهودي يتجسّس لإسرائيل في سوريا، وبالتحقيق معه إعترف بانه كان ينتمي لمحفل ماسوني مصري. وبعدها بقتره أعلنت نهاية الماسونيّة في مصر. ولكن أعداءها يعتبرونها أنها ما تزال موجودة - دون الإعلان عن نفسها - ممثلة في جمعيّات ونوادٍ إجتماعيّة للطبقة الرّاقية كالروتاري و" اللايونز ".

وقد أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بياناً بشأن الماسونية والأندية المتهمة بأنها تابعة لها مثل الليونز والروتاري، جاء فيه،كما أصدره رئيس الفتوى بالأزهر الشيخ عبد الله المنشد:

(يُحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها وواجب المسلم ألا يكون إمّعة يسير وراء كل داع وناد بل واجبه أن يمتثل لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول " لا يكن أحدكم إمّعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم؛ إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم ". وواجب المسلم أن يكون يقظاً لا يُغرّر به، وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم، ولها مقاصدها وغاياتها العلنية، فليس في الإسلام ما نخشاه ولا ما نخفيه والله أعلم) كما أصدر المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي فتوى أخرى جاء فيها "وقد قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة، وطالع ما كُتب عنها من قديم وجديد، وما نُشر من وثقائها فيما كتبه ونشره أعضاؤها وبعض أقطابها من مؤلفات، ومن مقالات في المجلات التي تنطق باسمها: وقد تبين للمجمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع ما اطلع عليه من كتابات ونصوص ما يلي:

١- إن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة، بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى على أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها.
٢- إنها تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري للتمويه على المغفلين وهو الإخاء والإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب.

٣- إنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية، على أساس أن كل أخ ماسوني مجند في عون كل أخ ماسوني آخر، في أي بقعة من بقاع الأرض، يعينه في حاجاته وأهدافه ومشكلاته، ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوي الطموح السياسي ويعينه إذا وقع في مأزق من المآزق أيا كان على أساس معاونته في الحق لا الباطل. وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال.

٤- إن الدخول فيه يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل في الرتبة.

٥- إن الأعضاء المغفلين يتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا، أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد فترتقي مراتبهم تدريجياً في ضوء التجارب والإمتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة.

٦- إنها ذات أهداف سياسيّة ولها في معظم الإنقلابات السياسيّة والعسكرية والتغييرات الخطيرة، ضلع وأصابع ظاهرة أو خفيّة.

٧- إنها في أصلها وأساس تنظيمها يهوديّة الجذور ويهوديّة الإدارة العليا والعالمية السرية وصهيونية النشاط

٨- إنها في أهدافها الحقيقة السرية ضد الأديان جميعها، لتهديمها بصورة عامة وتهديم الإسلام بصفة خاصة .

٩- إنها تحرص على اختيار المنتسبين إليها من ذوي المكانة المالية أو السياسية أو الإجتماعية أو العلمية أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذاً لأصحابها في مجتمعاتهم، ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها، ولذلك تحرص كل الحرص على ضم الملوك والرؤساء وكبار موظفي الدولة ونحوهم.

١٠- إنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار، لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الروتاري ولايونز. إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التي تتنافى كلياً مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية. وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية، وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثيرة من المسؤولين في البلاد العربية وغيرها في موضوع قضية فلسطين، وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى، لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية. لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة، التي يجد فيها الضعفاء سبيلا للهروب ومبرّرا لتقصيرهم في جهادهم، من إعلاء راية الإيمان وحفظ الأمم والأوطان والمقدسات ".

أمّا المجمع الفقهي في مكة المكرّمة فقد أصدر برئاسة الشيخ عبد الله بن حميد قرارا شرعيّا بتاريخ ١٩٧٨/٧/١٥، وبعد أن حلّل فيه نشأة الماسونيّة وعلاقاتها وأهدافها المشبوهة، نصّ على ما يلي " تبيّن للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونيّة باليهوديّة الصهيونيّة العالميّة، وبذلك إستطاعت أن تسيطر على نشاطات كثير من المسئولين في البلاد العربيّة وغيرها في موضوع قضيّة فلسطين، وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضيّة المصيريّة العظمى لمصلحة اليهود والصهيونيّة العالميّة. لذلك ولكثير من المعلومات التفصيليّة عن نشاط الماسونيّة وخطورتها العظمى، وتلبيساتها الخبيثة، وأهدافها الماكرة، يقرّر المجمع الفقهي إعتبار الماسونيّة من أخطر المنظّمات الهدّامة على الإسلام والمسلمين، وأن من ينتسب إليها، وهو على علم بحقيقتها وأهدافها، فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله ".

وفي ٤ ديسمبر ١٩٩٩ أعلن وزير الثقافة فاروق حسني أن مصر رفضت محاولات الماسونيّة العالميّة لحضور احتفال الألفيّة الثالث في منطقة الهرم، على االرّغم من الخطاب المرسل من قبل الكونجرس الامريكي والبيت الأبيض يطلب من حكومته حضور المجموعة الماسونيّة هذا الاحتفال.

الماسونيّة في الشّام والعراق ودور الأمير عبد القادر

في كتابه "تاريخ الماسونيّة العام" الذي صدر عام ١٨٨٩، يذكر جورجي زيدان أن دمشق عرفت الماسونيّة لأوّل مرّة على يد راشد باشا والي سوريا ما بين ١٨٦٤-١٨٧١، ولو أنها دخلتها " بمساعي الأمير عبد القادر الجزائري، وأن أوّل محفل تأسّس فيها هو محفل سوريا بشرق دمشق تحت شرق إيطاليا الأعظم. ولا يوجد في دمشق غير هذا المحفل. وقد ترأس عليه كثيرون من أعيان البلاد وأمرائها، ولاقى إضطهادا قليلا، وأنه تغلّب على كلّ الصعوبات فثبت بمساعي الأخوة وتنشيطهم ".

ولم يُكشف الستار إلاّ قليلا عن علاقة الأمير عبد القادر الجزائري بالماسونيّة وربّما يعود ذلك إلى عدم رغبة المؤرّخين في تشويه سمعة هذا المجاهد الكبير قائد الثورة الجزائريّة الحديثة ضد الإستعمار الفرنسي، والتي أتينا على ذكرها في عجالة.

فعندما حلّت به الهزيمة نتيجة الغدر، إستسلم للأعداء الفرنسيين الذين أسروه سنة ١٨٧٤ إذ رأى من الصواب الجنوح للسلم، وشاور أعيان المجاهدين على ذلك. وأرسلوه إلى فرنسا حيث أهداه نابليون الثالث سيفاً ورتّب له في الشهر مبلغاً باهظاً من المال، وسمح له بالسفر إلى الشرق سنة ١٨٥٢، فتوجّه إلى الآستانة. وهناك رحّب به السلطان عبد المجيد، وأنعم عليه بدار في مدينة بروسة، ثم استوطن دمشق، بعد توالي الزلازل على بروسة، سنة ١٨٥٥. وهناك رغب في أن يتمتّع في رغد من العيش، فأقبل بنهم على اقتناء

الأراضي، بعد أن ملكته الإدارة العثمانيّة دارين فخمتين، وخصّصت له مبلغا ماليّا يعادل مائة ألف فرنك فرنسيّ بضغط من وزير خارجيّة فرنسا وسفيرها في دمشق، فكان يقضي أوقاته في الإطلاع وحلقات العلم، حتى جمع مكتبة ضخمة. وقد اشتهر بالكرم ولطف المعشر، فحبّب إليه أهل العلم وأعيان البلاد. وعندما اندلعت الفتنة بين النصارى والدروز سنة ١٨٦٠، هبّ مع ألف من رجاله، للقيام بدور إنساني أسعف به المنكوبين وآوى المهجّرين. وبذلك استطاع حماية المسيحيين وإنقاذ الكثيرين منهم من مذابح كادت أن تبطش بهم. وحين تحوّل سنة ١٨٦٣ إلى الآستانه لزيارة السلطان عبد العزيز، أهداه الوسام العثماني الأول، ثم توجّه إلى باريس ولقي نابليون الثالث. وفي طريق رجوعه عبر الإسكندريّة سنة ١٨٦٤، قيل إنه انتظم هناك في محفل الإهرام التابع للشرق الفرنسي الماسوني، إذ كان يجاهر بانتسابه إلى جمعيّة العروة الوثقى، ومن أنصار رفض التقليد، وتبنّي الأفكار الحديثة التي أخذت تفد على الشرق. وينقل عنه المؤرّخ الفرنسي (زافيي ياكونو)[٥]. قوله : " إنّي أعتبر منظمة البنّائين الأحرار كأوّل مؤسّسة في العالم، وفي رأي أن كلّ رجل لا يجاهر بالعقيدة البنّائيّة يعدّ رجلا ناقصا، وآمل يوما أرى فيه إنتشار مباديء الفرنسماسونيّة في العالم، ويومئذ فإن كلّ شعوب العالم ستعيش في سلام وأخوّة ".

وعندما اندلعت الحرب الرّوسيّة التركيّة عام ١٨٧٧، جرت تحرّكات ومشاورات بين زعماء الشّام طرحت فيها صيغة الإمارة العربيّة في الشّام، على غرار ما قام به محمّد علي باشا في مصر. وبويع الأمير عبد القادر زعيماً لهذه الحركة وأميراً مرتقباً على بلاد الشام. ولكن إنهزام تركيا في تلك الحرب سنة ١٨٧٨، وقبولها بشروط معاهدة سان استيفانو ومؤتمر برلين، حال دون سقوط الدولة العثمانيّة، وبالتالي تعذّر نجاح الحركة الإستقلاليّة العربيّة. وعقب ذلك إتخذت السلطة العثمانيّة إجراءات إحترازيّة للفصل بين زعماء الحركة الوطنيّة والأمير عبد القادر. وعن هذه الفترة نشر رشيد رضا في سنة ١٩٠٩مقالا طويلا في صحيفة (إقدام) التركيّة وصحيفة (كلمة الحقّ) العربيّة، وقال فيه " لم يكن يخطر على بال زعماء العرب السعي إلى انفصالهم عن الترك أو إنفصالهم بأنفسهم، ولا ذُكر هذا على لسان أحد إلا في عهد ولاية مدحت باشا على سوريا. ففي عهده شاع أن في البلاد حزبا كبيرا مؤلفا من و جهاء المسلمين والنصارى في بيروت والشام يسعى إلى جعل القطر السوري مستقلا كالقطر المصري تحت سيادة الدولة العليّة، ويكون الخديوي له مدحت باشا. وقيل إن بعض الماسون كانوا يسعون إلى جعل الأمير عبد القادر الجزائري هو الخديوي لهذا القطر. ويقال أيضا إن لبعض الأجانب يدا في

---

٥ تنظر مقالته (Abdelksder, Franc- macon) بمجلة (Humanisme) الفرنسيّة المخصّصة للماسونيّة بتاريخ مايو – يونيه ١٩٦٦، كما ورد في كتاب المؤرّخ التونسي عبد الجليل التميمي عن (الأمير عبد القادر) والذي نشر فيه ثلاث وثائق بخط يد الأمير تبيّن إنتسابه إلى الحركة.

توجّه نفوس الناس في سوريا إلى هذه الفكرة ". ولقد توارث أبناء الأمير عبد القادر الإنتماء إلى الماسونيّة إلى أن وصلت إلى حفيده محمد سعيد الجزائري الذي تسنّم مكانة " صاحب اتلشوكة القطب الأعظم للمحفل الأكبر السوري العربي وأستاذ أعظم شرف للمحفل الأكبر الوطني المصري وقطب أعظم وأستاذ أعظم للمحفل الأكبر اللبناني " !

على أن الماسونيّة في المشرق العربي، لا سيّما الشّام، جاءت إليه نتيجة تغلغلها في تركيا دار الخلافة العثمانيّة، إذ بلغ عدد المنتمين لها سنة ١٨٨٢ نحو عشرة آلاف ماسوني، على رأسهم النوّاب وقادة الجيش والوزراء. وممّا شجع على انتشارها أن مراد أخ السلطان عبد الحميد كان معتنقا لها، إلا أن السلطان في كفاحه ضدّها تمكن سنة ١٨٨٤ من إغلاق جميع محافلها، ماعدا محافل سالونيك في اليونان لارتباطها الوثيق مع الدول الأوربيّة والماسونيّة فيها. ولهذا فلا يُستغرب أن عمانويل قارصوه الرئيس الأعظم لمحفل (ريزورتا) في سالونيك، كان أحد الأربعة الذين قاموا بتبليغ السلطان عبد الحميد بقرار خلعه يوم ٢٧ إبريل ١٩٠٩. وبويع من بعده السلطان محمد رشاد الخامس، والذي في عهده تسلّم حزب الإتحاد والترقي إدارة الحكم في الإمبراطوريّة.

ومرّت الماسونيّة في سوريا، عبر مراحل التطوّر السياسي وتقلّبات الحكم فيها. وكذلك شهدت محافلها محاولات إندماج وتفكك وفترات خمود بعد الحرب العالميّة الأولى. ونتيجة لوجود الإنتداب الفرنسي فقد ازدهرت أحوال هذه المحافل، وكان أقواها محفل " سوريا شرق دمشق " تحت رعاية " شرق فرنسا السّامي " الذي تأسّس في ١٩٢٢. وكان من بين أعضائه مصطفى السباعي الخطّاط وفارس الخوري . ثمّ محفل " إبراهيم الخليل " تحت رعاية المحفل الأكبر بولاية نيويورك الأمريكيّة الذي تأسّس في ١٩٢٤. وكان محفل " نور الشرق " من أقدم المحافل في سوريا ولبنان، إلى غير ذلك من المحافل الأصغر شأنا. إلا أن بروز اليقظة القوميّة وتنامي الوعي بالتحرّر والإستقلال، أثار الرغبة لدى المحافل المحليّة في التخلص من السيطرة الماسونيّة الأجنبيّة، ولهذا الهدف إجتمع في عام ١٩٢٤ ستة وعشرون محفلا في دمشق لتكوين إتحاد بينها، وضمّت شخصيّات من أعيان البلاد ووجهائها المعروفين. وانتخبوا من بينهم جميل بيهم وسعيد صباغة وجبران تويني لإدارة المؤتمر. وقد أصدر بيانا ضافيا انتقد فيه تدهور الأوضاع العامّة في البلاد في ظلّ الإدارة المحتلة، وطالب بإصلاحات عديدة، كأن يكون التعليم علمانيّا، ولكن ليس بإدارة فرنسيّة كاثوليكيّة، وإلغاء القوانين الإستثنائيّة، وإعطاء القضاة الحصانة مع إلغاء المحاكم الأجنبيّة، وكذلك مطالب أخرى في السياسة النقديّة والضريبيّة .. إلخ. وختمها بالتنديد بالإحتلال. ولكن المؤتمرين ناقضوا بعد بضعة سنين مطلب الإستقلال، حين أبرموا في ١٩٣٢ دستورهم الرسمي الذي تحدّث عن " الغاية الماسونيّة إحكام الإخاء بين البشر... وأن

تقتصر أعمال محفل سوريا على إنماء روح التعاضد والإخاء بين أعضائه، وعلى ترقيتهم بإلقاء محاضرات علميّة إجتماعيّة وفلسفيّة أدبيّة دون التعرّض إلى الأمور الدينيّة والسياسيّة "، وواضح هنا إستجابتهم لضغوط الإنتداب الفرنسي الذي شعر بالتململ الشعبي ونذر الثورة ضدّه. إذ أن بعض العناصر الماسونيّة التي جرفها تيّار الماسونيّة تحت شعار الحداثة والتجديد أخذت تصطدم بالسلطة المحتلّة، وخاصّة أن المستعمر الفرنسي أخذ يلعب لعبة الفتنة الطائفيّة بين شرائح المجتمع السّوري. وعندما انهزمت فرنسا في الحرب، ودخلت الجيوش الألمانيّة باريس في يونيه ١٩٤٠، وتولى الحكم المارشال بيتان الموالي للنازيّة، حلّ جميع الأحزاب والجمعيّات السريّة ومنها الماسونيّة، وتبع ذلك أصدر المفوّض السامي الفرنسيّ في سوريا الجنرال دنتز قرارات بحلّ التانظيمات الماسونيّة، ومصادرة ممتلكاتها وأموالها المنقولة وغير المنقولة، فأنهت أعمالها وأغلقت أبوابها. ولكنها عادت إلى النشاط بعد إنتصار الحلفاء ومجيء الإنتداب الفرنسي في العهد الجديد ولا ننسى هنا أن الإنتشار الذي شهدته الماسونيّة آنذاك كان قبل حدوث النكبة في فلسطين، وانخداع الكثيرين بشعاراتها، قبل إنكشاف مراميها الحقيقيّة. وهنا يقول العلاّمة محمد كرد علي أوّل رئيس لمجمع اللغة العربيّة بدمشق في مذكراته " منذ خمس وأربعين سنة وأنا يعرض عليّ الدخول في الماسونيّة في مصر والشام وتذكر لي الرغبات والغنائم المتوقعة منها، فكنت أقول: إن هذه الجمعيّة أنشأها اليهود للقضاء على ظلم الكاثوليك، فما شأن المسلمين الدخول فيها ؟... وما كنت أظنّ ولا أكثر الماسون هنا يظنّون، أن جمعيّتهم ألعوبة صهيونيّة صرفة، لا يهوديّة فحسب يسعى اليهود بواسطة نفوذها أن يعيدوا مجد صهيون. ومعنى مجد صهيون نزع فلسطين العربيّة من أيدي العرب ".

وكان المحفل الأكبر المصريّ ناشطا كثيرا في مصر وعلى رئاسته " الأستاذ الأعظم أحمد ماهر باشا " و" السكرتير الأعظم محمّد رفعت بك "، فاجتهدا لكي تتوسّع الماسونيّة في العالم العربي وخاصّة سورية ولبنان. فعملا على تأسيس محافل رمزيّة عديدة، ومحافل إقليميّة لدرجة ١٨ في دمشق. وكان الهدف تأسيس سلطة ماسونيّة مستقلة باسم المحفل الأكبر السوريّ، تيمّنا باسم المحفل الأكبر المصريّ الذي كانت تعمل تحت رعايته وسلطته، ومحافل سوريّة ولبنانيّة كثيرة. ولهذا الغرض إنعقد في بيروت عام ١٩٤٧ مؤتمر ماسوني عام حضره أقطاب الماسونيّة في العالم العربي، بغية إضفاء الصبغة العربيّة على الحركة، بما في ذلك تعريب مصطلحات الحركة. وتقرّر فيه حلّ المحفل اللبناني وإحياء المحفل الأكبر السّوري الذي نودي فيه بالأمير سعيد الجزائري قطبا أعظم. وكان إجتماع المحفل في عام ١٩٥١ قد ترأسه الأمير محمّد بن الأمير سعيد المذكور كقطب أعظم، وعبد القادر الزهراء كآمر أعظم. وفيه طالب الحاضرون بلسان محمد

رائف " على لزوم التخلص من الإستعمار الماسوني وخلع نير الإستعباد وتأييد الإستقلال التام ماسونيًا، دعوة كل أخ ماسوني يشتغل تحت سلطة ماسونيّة غير عربيّة أن يرجع إلى حظيرة فطرته، وأن يقوم بواجباته نحو وطنه العربي وشعبه الأبي وجيشه المجاهد عامة والسوري خاصة، ورفع آيات الشكر والإمتنان والتهانئ المقرونة بعواطف الصدق والإخلاص بالنهضة الجديدة والعالم الجديد للجيش السّوري الباسل، الممثل بشخصيّة حامل لواء الحريّة والعدالة والإستقلال الأخ العارف العقيد أديب الشيشكلي الفائق الإحترام حامي الماسونيّة السوريّة العربيّة وتسجيل الثناء العاطر للجيش السوري الباسل الممثل بشخصيّة الزعيم المحبوب فوزي بك سلو(والأخ الكلي العرفان) العقيد أديب بك الشيشكلي ".

وهكذا دخلت الماسونيّة السوريّة مرحلة جديد مؤيّدة إنقلابا عسكريًا مستبدًا مشبوها مضادًا للنظام الديمقراطي، ومنغمسة في الشأن السياسي، متجاهلة ما نصّ عليه دستورها. أي أنها أخذت تتلوّن بألوان الإنتهازيّة السياسيّة سعيا إلى تحقيق مطامع الصهيونيّة واسعة الأبعاد كما شرح المناهضون لها. فما أن أعلنت الوحدة بين سوريا ومصر حتى كان أقطاب الماسونيّة في مصر وسوريا ولبنان مثل محمّد مظهر سعيد وطه مخلوف ووجيه الصوفي، من أوائل من هنّأ جمال عبد الناصر بها. وورد في أحدى البرقيّات بتاريخ ١٩٥٨/٢/٧ : "مولد الجمهوريّة العربيّة الموحّدة بقيادتكم، عمل متمّم للثورة العظيمة التي قمتم بها ضدّ الإستعمار والرجعيّة. نأمل أن تعمّ كافة البلاد العربيّة". أمّا شكري القوّتلي فقد إستقبل وفد المحفل بالقصر الجمهوري في دمشق. إلاّ أن هذه الفرحة لم تتمّ، ولم يحرّك المحفل ساكنا حين حدث الإنفصال. بل فوجيء الماسونيّون في صيف ١٩٦٥ بصدور قرار حكومي " بإلغاء الجمعيّة الماسونيّة المسمّاة بالمحفل الأكبر السوري العربي والمحافل التابعة له في جميع أنحاء القطر العربي السّوري إن وجدت، ويحظر على المؤسّسين المنتسبين القيام بأي نشاط لصالح الجمعيّة، وتختم بالشمع الأحمر، وتصفى موجوداتها ". وصدر قرار آخر مماثل بإلغاء أندية الرّوتاري الدولي في البلاد.

وفي لبنان الذي يشكل مع سوريا وفلسطين مصطلح الشّام، تأسّس في عاصمته بيروت أوّل محفل منذ سنة ١٨٦٢ تحت رعاية الشرق الأعظم الأسكتلندي حسبما ذكر جورجي زيدان (وهو من الماسونيّين)، ثمّ محفل آخر فيها سنة ١٨٦٩ تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسي. وقيل إن مدحت باشا الصدر الأعظم العثماني السّابق ومنشئ دستور ١٨٧٦، كان ممّن رعوا هذه الجمعيّة، بهدف إحداث القلاقل في لبنان لفصله عن الإمبراطوريّة، وبالتالي إستيلائه عليه ليحكمه وتتوارثه ذرّيته من بعده. مثلما فعل محمد علي في مصر، وهو ما أشار إليه محمد علي رضا. إلاّ أن السلطان إستدعاه إلى الآستانة بعد ثلاث سنوات، فهاجر أعضاء الجمعيّة إلى مصر، وكان من أبرزهم فارس نمر الذي أسّس في

القاهرة مجلة "المقتطف" الشهيرة وصحيفة " المقطّم". وفي الفترة ١٨٤٧ – ١٨٦٨ كوّن نخبة من المثقفين على رأسهم ناصيف اليازجي وبطرس البستاني ومجموعة من الشخصيّات الأمريكيّة والإنجليزيّة، وكان من بينهم الشخصيّة البريطانيّة الشهيرة ونستون تشرشل الذي أقام في بيروت وكان برتبة كولونيل، كوّنوا ما أسموه بالجمعيّة الأدبيّة ثم جمعيّة الفنون والعلوم ثم الجمعيّة العلميّة السّوريّة. وكلّها كانت بدايات ما أطلق عليها جورج أنطيوس " باليقظة العربيّة " في كتابه التاريخي الثمين " يقظة العرب " الذي صدر بالإنجليزيّة في فيلادلفيا سنة ١٩٣٩، وسرد فيه نشأة وتطوّرفكرة القوميّة وتيّاراتها ورجالاتها. أي أن هذه الجمعيّات بذرت بذور النشأة القوميّة العربيّة منسلخة عن الجامعة الإسلاميّة المتدثرة بالإمبراطريّة العثمانيّة على النحو المعروف. وكانت طليعتها الجمعيّة السريّة التي شكلها عام ١٨٧٥ – أي قبل سنتين من تولي السلطان عبد الحميد العرش- خمسة من العرب النصارى يدعّمهم أمريكيّون، ثمّ ضمّوا إليها العشرات من المثقفين العرب مسيحيين ومسلمين كيعقوب صروف وإبراهيم اليازجي وفارس نمر وإبراهيم الحوراني وشاهين مكاريوس وغيرهم. وحسب الرواية التاريخيّة فقد رأى هؤلاء المثقفون " أن إنتسابهم إلى الجمعيّة الماسونيّة فيه كلّ الخير لقضيّتهم ". ومن ذلك الوقت نشأت وانتشرت المحافل الماسونيّة تحت الشعارات البرّاقة المعروفة.

وفي ١٩٨٢/٧/٨ أي بعد شهر واحد من الإجتياح الإسرائيلي لبيروت، نشب خلاف حول المرجعيّة للماسونيّة اللبنانيّة، فجريدة النهار تنشر بيانا في ذلك اليوم باسم (الشرق اللبناني الأكبر) " يحذّر اللاعبين بالنار والمناورين على الحقائق، وهم ينتحلون لهم صفة غير شرعيّة، بقصد الإحتيال وابتزاز الأموال، أن يعلن في هذه المناسبة أنه سيقاضي هؤلاء ويلاحقهم قانونيّا وماسونيّا، كما ينبّه المواطنين الكرام إلى أي محاولة ترمي إلى الإساءة إلى المبادئ الإنسانيّة السّامية، معلنا أن كلّ من ينتسب إلى هيئة لا يعترف الشرق الأكبر اللبناني بها، ليس الشرق مسئولا عنه، ويحظر عليه دخول المحافل النظاميّة في لبنان وخارجه ". إلا تحذيرا مضادّا قامت بنشره يوم ١٩٨٢/٩/٢٨ جريدة السفير بتوقيع رشيد الصلح رئيس وزراء لبنان الأسبق جاء فيه " حذّر (الشرق الأوسط اللبناني) " كلّ من تسوّل له نفسه إنتحال الصفة الماسونيّة، ودعا أعضاءه للحصول على بطاقة العضويّة الماسونيّة قبل نهاية شهر تشرين الأول ١٩٨٢، تمهيدا لإجراء إنتخابات محفليّة جديدة. وأنه السلطة الوطنيّة العليا للمحافل العامّة في لبنان ومحافل اللبنانيين في بلاد الإغتراب... وأن كلّ من ينتحل الصفة الماسونيّة سيلاحق قضائيّا وأمام المحاكم الماسونيّة، مشيرا إلى صحّة البطاقات التي يحملها الأعضاء، وتحمل توقيع الرئيس (الأستاذ الأعظم) رشيد الصلح ". وإزاء هذا التصارع دعا محفل الأرز الأكبر من سمّاهم بالإخوان الماسونيين المهجّرين من كلّ المناطق اللبنانيّة إلى الإتصال به في مقرّه لعقد جلسة خاصّة.

وحتى عندما أصدرت الحكومة المصريّة قرارها بحلّ منظّمات الماسونيّة وتحريمها عام ١٩٦٤ كما ذكرنا سابقا، تحدّى الماسينيّون اللبنانيّون هذا الإجراء، وتخوّفوا من آثاره عليهم، خاصة الحملات الإعلاميّة المصريّة، فجمعوا تبرّعات بعشرات الألوف من الليرات، وأصدروا قرارا في يونيه ١٩٦٤ برئاسة حنّا إبي راشد الملقب لديهم " بالقطب الأعظم للشرق الأكبر المثالي العالمي وعميد الطرق الماسونيّة المثاليّة مدى الحياة " يقضي باستعمال المال لمنع الصحافة اللبنانيّة من مجاراة الصحف المصريّة، مثل "الأهرام" و"الأخبار" و" صوت العروبة " في كشف أسرار الماسونيّة. بل إن صائب سلام رئيس الوزراء في ذلك الوقت أصدر قرارا بتاريخ ١٩٧٢/١/١٩ بإلغاء أيّة تدابير مناهضة للماسونيّة، وجاء فيه " أن مجلس الموقرين اللبنانيين من الدرجة الثالثة والثلاثين واللجنة الماسونيّة العليا للدرجات العليا بلبنان، قد أصبح مصرّحا لها إعتبارا من الآن بممارسة نشاطهما طبقا للمادّة السادسة من قانون المنظّمات ". ورغم إنكشاف انكشفت شبكة الجاسوسيّة في الإسكندريّة وصدور فتاوى دينيّة مسيحيّة وإسلاميّة ضدّها، وقرارات رسميّة تحظرها، يبدو أن الماسونيّة عادت من جديد تطلّ من عدّة منابر- خارجة من ركودها أو إختباؤها التقليدي - فجريدة النهار اللبنانيّة عادت هي الأخرى تروّج لها في مقالة نشرتها خلال العام ٢٠٠٧، تحت عنوان (الماسونيّة في لبنان جمعيّة لها أسرار وليست سريّة) بقلم ماري كلير فغالي. وهي مقالة إذ تعطي نبذة عن نشأة الماسونيّة وتطوّرها عبر العصور، فهي ترغب في الإنتماء إليها كونها تساعد المنتسبين في الإرتقاء إلى أعلى المناصب السياسيّة. مدّعية أن لا علاقة لها بالصهيونيّة، وإنما شاع ذلك بسبب الخطأ في فهم موضوع بناء هيكل سليمان! وجاء في المقالة أن عدد المحافل في لبنان بلغ من ٤٠ إلى ٥٠ محفلات تبع (الشرق الأكبر) وأن عدد الماسونيين بلغ نحو ٨٦ ألف منتسب مسجّلين، وينشط منهم فعليّا بين ٦ – ٨ آلاف.

ولأسباب الجوار والرّوابط التاريخيّة والعائليّة وظروف الإستعمار، لم تسلم فلسطين من الماسونيّة، ولو أنها كانت في نطاق ضيّق، ومعظم محافلها إرتبطت بالماسونيّة في مصر، ففي سنة ١٩٢٨ كان عددها عشرة محافل منتشرة في مدن فلسطين الرئيسة. وغنيّ عن القول إن الصراع الفلسطيني ضدّ الصهيونيّة المحتدم منذ ذلك الوقت وحتى الآن، أجهض أي توسّع للماسونيّة في فلسطين العربيّة. ولو أنها وجدت في الأردن مكانة مرموقة، لأنه منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٧، نُشرت رسالة موجّهة من الملك حسين بن طلال إلى حنّا أبي راشد القطب الماسوني الأعظم في لبنان، يشكره فيها على قراره بمنح الملك " أسمى درجات الماسونيّة الأخيرة، ووضع رسمي في صدر المجلس السّامي المثالي العالمي "، وتبعه في ذلك بهجت التلهوني رئيس ديوانه الذي ردّ على دعوة أبي راشد شاكرا له ومتقبّلا بامتنان

إنتسابه إلى الماسونيّة، كما جاء في رسالته بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٥٧. وفي ٢٥ ديسمبر من نفس السنة أصدر أبو راشد المذكور مرسوما بتأليف المحفل الأكبر للملكة الأردنيّة الهاشميّة وعُيّن بهجت التلهوني أستاذا أعظم له تحت رعاية الملك حسين. وقد قيل أن أقرباء التلهوني إمتعضوا من هذا التصرّف. وفي ١٧ مايو ١٩٦٠ استقبل الملك وفد الماسونيّة العالميّة في قصره. وبذلك تحصّلت الماسونيّة على ما كانت ترنو إليه من إعتراف سام ومكانة مميّزة. وعلى الرّغم من ذلك لم يوجد في الأردن إلاّ محفل رسمي رئيسي في جبل القلعة وآخر تحت إسم عدنان بعيون وانتسبت إليهما جمهرة من الأعيان والمفكرين - كثيرون منهم من أصل غير عربي - إلى أن أصدر البرلمان الأردني، بضغط من الجبهة الإسلاميّة توجيها بحظر الإنتماء إلى الماسونيّة. الأمر الذي جعل المحفل يصدر بيانا توضيحيّا بتوقيع السكرتير الأعظم سيف الدين الكيلاني والقطب الأعظم عبد المجيد مرتضي، زُعم فيه أن الماسونيّة ذات طابع إنساني خيري محض. بل وتجرّا على التبرير بأن الإنتماء إليها سوف لن يترك المجال لدعاة الإستعمار والصهيونيّة باحتكار هذا النشاط العالمي! ولكن البيان يناقض نفسه عندما اعترف – منبّها الماسونيين - بضرورة تفهّمهم لنفور أفراد الشعب منهم: " لأن حركة تولد في السرّ وتعيش وتعمل في السرّ وترتبط بهيئات خارجيّةعالميّة عن طريق السرّ وذات أهداف يكتنفها الغموض والسرّ، لابدّ أن تحوم حولها الشبهات ". وقد جاء هذا البيان ردّا على الفتوى الدينيّة التي نشرت عام ١٩٦١ من قبل المفتي العام، والذي لم يجرأ صراحة على تحريمها، وإنما أحجم عن ذلك بحجّة أنه لا يعلم شيئا عن حقيقتها، مع إعترافه بما تثيره من ريب. ألاّ أن المفتي بعد ذلك وفي بيان آخر– بناء على رغبة قاضي القضاة - أصدر فتوى صريحة بتحريمها كونها من الكفر الصراح إذ قال: " فعلى المسلم أن يعتزل الماسونيّة، هذا إذا لم ينته فيها إلى الكفر الصراح والزندقة والإلحاد. فإن إنتهى إلى ذلك وصار فيه إلى العمل والإعتقاد، فإنه يعدّ بذلك كافرا مرتدّا، وتجري عليه أحكام الكافر المرتدّ، إلاّ إن تاب ورجع إلى الإيمان والإسلام، وتقبل توبته، على أن ذلك فيما بينه وبين الله ". وبناء على هذه الفتاوى، تبنّى التيّار الإسلامي حملة متواصلة لحظر الماسونيّة، إلى أن أصدرت الحكومة قرارا رسميّا بحظرها عام ١٩٩١، ولكن يبدو أن أنشطتها إستمرّت في طي الكتمان، مما حدا باستئناف الحملة ضدها من نفس التيّار. وهو ماجعل الحكومة تشدّد عام ١٩٩٩ على أوامرها بمنع أي نشاط لها في البلاد.

وجدير بالذكر أن الماسونيّة تسللت أيضا إلى العراق وبلدان الخليج، وربّما لأن هذه البلاد كانت قد استعمرت بدرجات متفاوتة من بريطانيا أحد معاقل الماسونيّة الكبرى. ففي العراق إزدهرت بعد الحرب العالميّة الأولى، وتعطل نموّها في سنين تكوين إسرائيل لكنها

انتعشت من جديد. إلى أن قامت ثورة ١٤ تمّوز عام ١٩٥٨ بتصفيتها نهائيّا. فغداة الثورة هاجمت التظاهرات الشعبيّة المحافل الماسونيّة، وتمّت السيطرة على الخزائن الحديديّة التي كانت بالبنك المركزي العراقي والتي احتوت على قوائم مائة وخمسين من أعضائها المعروفين، ولو أنها لم تُعلن للجمهور. ولكن عُرف أن من بينهم السياسي المعروف محمد فاضل الجمالي (وقد إعترف وافتخر شخصيّا بانتمائه إليها أمام محكمة المهداوي المعروفة)، وكذلك رؤساء الحكومة العراقيّة السّابقون نوري السعيد وصالح جبر وتوفيق السويدي، إضافة إلى العشرات من الوزراء وضبّاط الجيش والأطبّاء والمحامين. وكلهم كانوا من الطبقة البرجوازيّة. وبعد الإنقلاب العسكري الذي جاء بحزب البعث إلى الحكم، جرى تعديل قانون العقوبات سنة ١٩٧٥بحيث أصبح " يعاقب بالإعدام كلّ من حبّذ أو روّج مبادئ صهيونيّة بما في ذلك الماسونيّة، أو إنتسب إلى أي من مؤسّساتها، أو ساعدها ماديّا أو أدبيّا، أو عمل بأيّة كيفيّة كانت لتحقيقها ".

وأخيرا، وعلى مستوى العالم العربي، أصدر المؤتمر الحادي والأربعين لضبّاط إتصال المكاتب الإقليميّة لمقاطعة إسرائيل التابع للجامعة العربيّة " باعتبار حركة الماسونيّة حركة صهيونيّة، لأنها تعمل بإيحاء منها لتدعيم أباطيل الصهيونيّة وأهدافها، كما أنها تساعد على تدفق الأموال على إسرائيل من أعضائها، الأمر الذي يدعّم إقتصادها ومجهودها الحربي ضدّ الدول العربيّة. حظر إقامة مراكز أو محافل لنشاط الحركة الماسونيّة في الدول العربيّة، وإغلاق أي أماكن لها تكون قائمة الآن في تلك الدول – لا يجوز التعامل أيا كان نوعه وطبيعته مع مراكز هذه الجماعة أو محافلها في مختلف أنحاء العالم".

المعارضة الكاثوليكيّة للماسونيّة

لقد جوبهت الماسونيّة بالنقد والإضطهاد من قبل الدول ذات (الثيوقراطيّة) أي التي يحكمها رجال الدين. وكان العامل الرئيسي وراء ذلك الخوف من أنها تشكل دينا منافسا يؤمن بالطبيعة، أو أنها حركة زندقة، وهذا ما يتعارض مع (دوجما) الكنيسة الكاثوليكيّة على وجه التحديد. وبذلك ظلت الماسونيّة لقرون عديدة هدفا للناقمين عليها يتوجّب محاربتها كونها مصدرا للشرّ، وتنسج المؤامرات والفتن والثورات حتى يومنا هذا.

وفي أدبيّات الكنيسة الكاثوليكيّة، نقرأ العديد من التصريحات البابويّة ضدّ الماسونيّة، أوّلها كان من البابا (كليمينت الثاني عشر) في ٢٨ أبريل ١٧٣٨، وآخرها كان من البابا (ليو الثالث عشر) في أكتوبر ١٨٩٠. وخلال القرن العشرين توالت هذه التصريحات

البابويّة على النحو الآتي: لاوون الثالث عشر (١٨٧٨ - ١٩٠٣)، القدّيس بيّوس العاشر (١٩٠٣ – ١٩١٤)، بنديكتوس الخامس عشر (١٩١٤ – ١٩٢٢)، بيّوس الحادي عشر (١٩٢٢ – ١٩٣٩)، بيّوس الثاني عشر (١٩٣٩ – ١٩٥٨)، يوحنا الثالث والعشرون (١٩٣٦– ١٩٥٨)، بولس السّادس (١٩٦٣ – ١٩٧٨)، يوحنا بولس الأوّل (١٩٧٨ - وتوفي في نفس السنة، ولم يمض على توليه كرسي البابويّة ٣٣ يوما. ورغم البيان الرّسمي بأنه قضى نتيجة أزمة قلبيّة حادّة، إلاّ أن هناك أقاويل وتكهّنات ذهبت إلى الإدّعاء بأنه مات مقتولا، وقد زادت الشكوك بأن الموت لم يكن طبيعياً نظراً للسرعة التي أبداها بعض الكرادلة ومنهم الكاردينال (جين فيلوت) بتحنيط الجثة فوراً منعاً لتشريحها، وهذا ما حدث فعلاً. وثمّة أنباء بأن إختياره للبابويّة شارك فيه عدة أشخاص منهم (جين فلوت) نفسه والمستشار المالي للفاتيكان (ميكليي سيندونا) الذي تورّط في شبكة (ليتشو جيلي) كما أسلفنا، والأسقف (بول مارشينكوس) رئيس بنك الفاتيكان و(ليتشيو جيلي) نفسه رئيس المحفل الماسوني (ب ٢)، وكذلك تصريح يوحنا بولس الثاني (١٩٧٨ – ٢٠٠٥). وكلّ هذه التصريحات البابويّة، كانت تحذّر الكاثوليك رسميّاً من الإنتماء إلى الماسونيّة. وفي ٢٦ تشرين الثاني ١٩٨٣ أعلنت جمعيّة عقيدة الإيمان، في وثيقة وافق عليها الأب الأقدس، " أنّ الحكم السّلبي للكنيسة على الماسونيّة يظلّ غير متغيّر لأنّ مبادئها اعتُبرت دائماً متناقضة مع عقيدة الكنيسة؛ لهذا تُبقي الكنيسة حظرها على الإنتماء الى الماسونيّة. والكاثوليك الدّاخلون فيها هم في حالة خطيئة جسيمة، ولا يمكنهم تناول القربان المقدّس."

وفي عام ١٩٩٣ أصدر الكاردينال جوزيف راتزينجير، عندما كان عميدا لمجمع فكر العقيدة بالفاتيكان والذي أصبح منذ عام ٢٠٠٥ البابا بيننيديكت السادس عشرة حتى وقتنا الحاضر، بيانا ملزما جاء فيه: " إن حكم الكنيسة السلبي تجاه المؤسّسة الماسونيّة يظل بدون تغيير طالما بقيت مبادئها لا تتلاءم مع عقيدة الكنيسة، وبذلك فالعضويّة فيها محظورة، والمؤمنون الذين ينخرطون في المؤسّسات الماسونيّة هم في وضع من ارتكب معصيّة، وربّما حُرموا من التعميد المقدّس ". وعلى الرّغم من ذلك قام (المحفل الأعظم) الإيطالي عام ٢٠٠٥ بتنصيب قسّ كاثوليكي كراع له. ومن ناحية أخرى إتّسم ردّ فعل (محفل الشرق الأعظم) بالسلبيّة تجاه مواقف الكاثوليكيّة هذه، والتي تعتبر العلمانيّة وعدم الخضوع للكليريكيّة الكنسيّة، حركات معادية للكاثوليكيّة.

وعلى النقيض من ذلك اعتبرت الكنيسة البروتستانتيّة الماسونيّة حركة تصوّف وتعبّد.

المعارضة السياسيّة

لقد استهدفت الماسونيّة منذ سنين طويلة باعتبارها مرتبطة (بالنظام الدولي الجديد) و" العملاء " الآخرين مثل **Illuminati** أي المستنيرين أو أهل التنوير، ويعتبرهم أصحاب نظريّة المؤامرة أنهم يسعون إمّا للسيطرة على العالم، أو أنهم يديرون فعليّا سياسات العالم بصفة سريّة. ويتفق في هذا المفهوم اليمين المتطرّف (النازي) واليسار المتطرّف (الشيوعي). ولو أن البعض يمدح الماسونيّة لأنها كانت المؤسّس للديمقراطية الليبيراليّة، لاسيّما في الولايات المتحدة الأمريكيّة، والبعض الآخر على العكس يفترض أنها عملت على إحباطها. وفي بعض البلدان تتصّل مناهضة الماسونيّة بظاهرة (معاداة السّاميّة) و (معاداة الصهيونيّة)، وكما يذكر البروفيسور أندرو بريسكوت في جامعة شيفيلد البريطانيّة: " منذ زمن صدور (بروتوكولات زعماء الصهيونيّة) أصبحت معاداة الساميّة ملازمة لمعاداة الماسونيّة، وهكذا لاغرابة في انتشار الإدّعاءات بأن أحداث الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك كانت مؤامرة من فعل الصهيونيّة مقرونة بأقاويل أن الهجمات قد أوحت بها حركة (النظام العالمي) الماسونيّة.

وفي عام ١٧٩٩ توقف نشاط الماسونيّة في بريطانيا بإصدار البرلمان، غداة الثورة الفرنسيّة ما سُمّي بقانون (الجمعيّات اللاشرعيّة) والذي يحظر إجتماعات أي جماعة تفرض على أعضائها أخذ القسم أو الإلتزام. إلاّ أن احتجاجات المحافل الكبرى في فرنسا وتقديمها للتعهّد باحترامها للقوانين النافذة وإطاعة السلطة الدستوريّة الحاكمة، وأنها تكرّس نشاطها للعمل الخيري، جعل الحكومة تعفي الماسونيّة من هذا القانون، على أن يقدّم كل محفل قائمة بأسماء أعضائه سنويّا. وقد استمرّ هذا الإجراء حتى عام ١٩٦٧،إلى أن أدخلت عليه تعديلات تتعلق بالإلتزام بالمواطنيّة الوفيّة، وعدم التمرّد، بل الإنصياع للنظام القضائي.

أمّا في الولايات المتحدة الأمريكيّة فقد واجهت الماسونيّة أوّل وأعنف هجوم ضدّها، عندما اختفى في عام ١٨٢٦ (ويليام مورجان) أحد النّاشطين في الدّعاية ضدّها، رغم أنه كان عضوا في محفلها. ولم يُكشف عن مصيره، وقيل إنه أغتيل من المنظمّة لأنه أراد كشف أسرارها. وتصاعدت حملة التنديد من أجله والمعادية لها إلى درجة تكوين حزب سياسي باسم (الحزب المناهض للماسونيّة)، والذي قدّم مرشّحا في انتخابات الرئاسة للعامين ١٨٢٨ و١٨٣٢، ولكن عمر الحزب كان قصيرا.

وحتى في عهد الديموقراطيّات الحديثة، ثمّة من يتّهم الماسونيّة كونها شبكة ينخرط فيها الأصدقاء لمباشرة إتصالات سياسيّة وتعاطي صفقات تجاريّة مشبوهة، وأن العضو يتمّ تبنّيه من قبل أعضاء آخرين وهو أمر تنفيه الماسونيّة بالطبع.

ويذكر هنا أن الماسونيّة في إيطاليا سُلطت عليها الأضواء نتيجة حدوث فضيحة ليتشيو جيلي[٦]. رئيس (محفل الدعاية ٢) المتحدّر من محفل الشرق الأعظم الإيطالي الذي تأسّس منذ عام ١٨٧٧، وكان مخصّصا للزوّار الأجانب ممّن تتعذّر عليهم العضويّة في بلدانهم. وقد تورّط جيلي في عمليّة تسبّبت في إفلاس مؤسّسة الفاتيكان الماليّة. وحين إنكشفت الفضيحة واشتهرت، أدّى ذلك إلى سقوط الحكومة الإيطاليّة، وحلّ المحفل سنة ١٩٨٢، كما صدرت عدّة أحكام بالسجن على جيلي، ولكنّه تمكن من الهرب. وعقب ذلك قُبض عليه وأمضى سنين طويلة محبوسا أو محجوزا قسريّا في بيته. وفي عام ٢٠٠٦ فتح أسراره وأرشيفه لوسائل الإعلام، فعُرضت ونُشرت عنه تحقيقات كثيرة أكدت ما كان متداولا كشائعات، وعمّر حتى قارب التسعين سنة.

أمّا في بريطانيا فقد حاولت حكومة العمّال في التسعينات من القرن الفارط أن تصدر قانونا يحظر على المسئولين فيها الإنتماء إلى المحافل الماسونيّة، غير أن هذا الإجراء طُعن فيه بموجب تشريع حقوق الإنسان الأوروبّي. وعند قيام الحكومة البريطانيّة بالتصديق على هذا الميثاق، جرت سنة ١٩٩٩ تعديلات قانونيّة، بموجبها إقتصر أن يجري تسجيل

---

٦ هو شخصيّة إيطاليّة لعبت أدوارا خطيرة في التآمر والإجرام السياسيين، ونشط في المنظمّات السريّة الإيطاليّة الفاشية، ولانخراطه في الحزب الفاشي منذ الثلاثينات، فقد أرسله موسوليني ليحارب إلى جانب جيش فرانكو في الحرب الأهليّة الأسبانيّة. ثمّ ساهم مع كتائب موسوليني الإرهابيّة التي نكلت بالإشتراكيين والشيوعيين. وأثناء الحرب الباردة أصبح ناشطا كأداة تستخدمها وكالة الإستخبارات الأمريكيّة. وقد تبيّن أنه دبّر مذبحة مدينة بولونيا سنة ١٩٨٣ والتي قتل فيها أكثر من ٨٠ مدنيّا إيطاليّا، وارتكبت، مع جرائم إرهابيّة مماثلة، باسم منظمّة يساريّة متطرّفة ضمن الحملة التي دُبّرت آنذاك مع الإستخبارات الأميريكيّة للحيلولة دون مجئ الشيوعيين إلى الحكم في إيطاليا، وذلك بإلصاق هذه الأعمال بهم. وكوّن المحفل الماسوني المذكور والذي انضمّ إليه العشرات من جنرالات الجيش وقادة الإجهزة الإستخباراتيّة، وكان بيرلسكوني وأندريوتي رئيسا الحكومة الإيطاليّة لعدّة مرّات من أعوانه، كما كانت له علاقات واسعة مع رؤساء دول مثل ريجان الذي دُعي لحضور تقلّده للرئاسة الأمريكيّة وجورج بوش الأب وبينوشيه رئيس تشيلي وفيديلا رئيس الأرجنتين الفاشيين. وقد لعب دورا رئيسا مع رجلي المال والمصارف سيندونا وكالفي في قضيّة إفلاس بنك أومبروزيانو، والتي ارتبطت بأموال الفاتيكان، واكتشفت الفضيحة حين وُجد كالفي مشنوقا على ضفة نهر التايمس في لندن، وجيوبه مملوءة بالرمل، ممّا أكد تورّط الماسونيّة في عمليّة التخلص منه لأنها تستعمل الرمل في طقوسها.

المحافل بشكل طوعي في مراكز الشرطة، والتي لها صلاحيّة طلب أو عدم طلب بيانات خاصّة من المتقدّمين طبقا للائحة (حريّة المعلومات) لسنة ٢٠٠٠.

وفي ألمانيا ذكر أن حوالى ثمانين ألفا من الماسونيين، كانوا بين ضحايا معسكرات الإعتقال التي أقيمت لليهود في العهد النازي. وقد استخدمت زهرة (لاتنسني) **Forget me – not!** [٧]، من قبل محفل (نحو الشمس) عام ١٩٢٦، كرمز للماسونيين في مؤتمرهم بمدينة بريمن. ولكن نفس الزهرة استعملت عام ١٩٣٨ من قبل الحزب النازي أثناء نشاط مؤسّسة تابعة له للعمل الخيري لجمع المساعدات في موسم الشتاء، ويرى أعداء النّازيّة أنها كانت ستارا استغلت أموالها في صناعة الأسلحة، ولذلك استعملها الماسونيّون أيضا كإشارة سريّة بينهم تعبّر عن عضويّتهم في محافلهم. وعقب انتهاء الحرب العالميّة الثانية عاد الماسونيّون لتعليقها كرمز لأوّل مرّة أثناء انعقاد تجمّع المحافل في ألمانيا. وظلّ الماسونيّون حتى وقتنا الحاضر يعلقون هذه الزهرة في أرجاء العالم للتذكير بزملائهم، وما عانوه من إضطهاد، خاصة أثناء العهد النازي.

لقد قصدنا من هذا العرض وصف كيف تسلّلت " الماسونيّة " إلى حركة التجديد والإصلاح في المنطقة العربيّة مع تيارات وموجات التحديث التي وفدت مع الغزو والإستعمار الغربي لها.

٧ زهرة ذات لون أزرق فاتح تعتبر رمزا للإخلاص والصداقة.